الخبر والسرد: سردية الخبر العربي القديم

المدرس المساعد : رواء جواد ابراهيم
raw86jawaj@uomustansiriyah.edu.iq

يُعد السرد واحداً من أهم الجوانب المعرفية في موروثنا العربي؛ فهو قديم قدم الفرد العربي، وما وصل إلينا من نصوص سواء أكانت دينية أم تاريخية، أو أدبية يشير إلى ذلك، فالعرب كباقي الأمم الأخرى التي زاولت السرد أو الحكي بأساليب وطرق متعددة، والمتبحر في الموروث الأدبي عبر تاريخه الطويل، يدرك ضخامة هذا الموروث الحافل بمختلف الأنواع والموضوعات الحكائية من أخبارٍ و أيامٍ وقصصٍ لملوك وعشاق وسيروخر افات ومكائد؛ إذ كانت بداياته عبارة عن أخبارٍ وحكايات تتداولها العرب بمجالسها القبلية، قبل أن تتحول لمهنةٍ لها رجالها المعروفون بالإخباريين. فالسرد بأشكاله المختلفة والمتعددة حاضرٌ في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ، وفي كُل المجتمعات الإنسانية، كما يرى رولان بارت، فهو عالمي؛ كونه متاحاً في كل مكان تماماً كالحياة، بمعنى أن السرد لا يمكن تقييده أو حصره في نوعٍ أدبي واحد، لا في الخطاب بشكل عام ولا في الأدب وحده؛ لأن مجال السرد واسعٌ؛ فهو يتسع ليشمل مجالات الحياة برمتها. وهو بأبسط تعريفاته عند النقاد الغربيين بحسب ما ذكره جنيت بأنه نقل الحكاية إلى المستمع أو المتلقي، "فالمحكي هو خطاب شفوي أو مكتوب يِعرض حكاية؛ والسرد هو الفعل الذي ينتج هذا المحكي" كما يؤكد جيرالد برنس على أن السرد يمثل أي حكاية، أو خبر يتم التبليغ عنه بوساطة راوٍ يروي لنا ما حدث، وينضوي الخبر تحت جنس الأشكال السردية إلى جنب كل من الحكاية والحديث؛ إذ تشترك هذه المصطلحات في نقل الأخبار والأحاديث والقصص، إلا إنها تختلف عن طريق تفرد كل منها بناحية محدودة في النقل، أي أنها تشترك بالنقل لكنها تتفاوت في شكله ومقدار درجته . وبما أن الخبر أحد أنواع السرد العربي القديم فبالإمكان توظيف مصطلح السرد للدلالة على مختلف الأنواع الخبرية؛ وذلك كون مصطلح السرد أوسع وأشمل من الخبر، فالصلَة بينهما؛ أي (السرد والخبر)، صلَة عامة، وذلك كون الخبر متصل في أغلب أنواع الحكي وهو: "القاسمُ المشتركُ بين مجُمل أنواع السرد العربي"، وبذلك يكون السرد هو "نقلٌ للأخبار والأقوال والأفعال" فالخبر يحتل الحيز الأكبر من السرد العربي القديم؛ بوصفه القناة التي مرّ عن طريقها جُلِّ الأشكال السردية الأخرى.

نَالَ الخبر عناية المُحَدِّثين، وشغلَ حيزاً كبيراً من اهتماماتهم، مؤكدين على أهميته البالغة؛ إذ يرى يقطين أنه نوع من أنواع السرد، وهو "أصغر وحدة حكائية؛ فالحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة، والقصة تراكم لمجموعة من الحكايات؛ والسيرة تراكم لمجموعة من القصص"، في حين يعده محمد القاضي "وحدة سردية مستقلة"، وعليه يمكن استخراج مقومات الخبر وخصائصه بدءاً من "بنيته الحدثية وصولاً إلى بنيته الخطابية" والمقصود بهذه البنيات حسب رأي د. عبد الستار جبر بأن البنية الحدثية قائمة على كل ما يرويه الخبر من أحداثٍ، أما البنية الخطابية فهي الطريقة التي يروي بها الخبر هذه الأحداث؛ بمعنى أنه يدرس الخبر كما يدرس القصة والرواية على نطاق التحليل السردي، باستعمال أدوات تحليلهما وتفعيل تطبيقها على الخبر؛ فالأخبار تُعد البنية الرئيسة والركيزة الأساسية للرواية العربية القديمة، وتكمن أهميتها فيما نقلته

من شواهد وبراهين وأمثلة وغيرها مما تضمنته الكتب والموسوعات العربية الكبرى منذ فجر التدوين؛ وهي عبارة عن نقلِ "أحداث الماضين، و أفعالهم وأحوالهم وما طرأ على أوضاعهم وحياتهم، مما يتناقله الرواة ويتحدث بها اللاحقون عن السابقين" .نخلص من كل ما سبق أن الخبرواحد من مضان السرد العربي القديم بغض النظرعن نوعه سواء أكان دينياً أو تاريخياً أم أدبياً فهو قائمٌ على وحدة أساسية تعرف بالخبر وبما أن السرد عبارة عن تتابع حَدثيّ قائم على تعدد الأفعال والاحداث؛ فإنه أوسع وأشمل من الخبر؛ إلا أن العامل المشترك بينهما يتمثل في النقل والإخبار، فالخبر قائم على الفعل التواصلي التناوبي عن طريق سلسلة من الرواة؛ فيكون دورهذه السلسلة إيصالها الخبرونقله سردياً؛ لأنه يحوي مادة قصصية قائمة على تسلسل الأحداث وتتابعها، ويعد جانباً من عمل الإسناد في الخبر.

==========